سورة آل عمران

١٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .. (٣)﴾.

إن قلت: كيف قال هنا، «نزل» ثم قال «وانزل» مرتين؟

قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار. وخص المشدد بالأول لمناسبته ﴿مصدقًا﴾.

وقيل: لأن القرآن نزل منجمًا، والتوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة فحيث عبر فيه بـ ﴿نزل﴾ أريد الأول أو ﴿انزل﴾ أريد الثانى.

ورد الأول بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾.

والثانى بقوله: ﴿وانزل الفرقان﴾ أن أريد به القرآن.

وبقوله: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب﴾.

وبقوله: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ «البقرة: ٤».

١٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ .. (٣)﴾.

سمى ما مضى بأنه «بين يديه» لغاية ظهور أمره.

١٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾.

قدم الأرض على السماء هنا، وفى موضع من «يونس: ٦١» و«إبراهيم» و«طه»، و«العنكبوت» عكس الغالب فى سائر الآيات، لأن المخاطبين فى الخمس كائنون فى الأرض فقط، بخلافهم فى غيرها كذا قيد.

١٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ .. (٧)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك و«من» للتبعيض وقال فى هود ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ وهو يقتضى إحكام آياته كلها؟

قلت: المراد بـ «المحكمات» هنا الناسخات أو العقليات، أو ما ظهر معناه.

كما أن المراد بـ «المتشابهات» المنسوخات، أو الشرعيات، أو ما كان فى معناها غموض ودقة.

والمراد بقوله ﴿أحكمت آياته﴾ أن جميع القرآن صحيح ثابت مصون عن الخلل والزلل.

ولا تنافى بين «متشابهات» وقوله ﴿كتابا متشابها﴾ إذ المراد بـ «متشابهات» ما مر.. وبـ «متشابها» أنه يشبه بعضه بعضا فى الصحة وعدم التناقض وتأييد بعضه لبعض.

١٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

قاله بلفظ الغيبة، وقال فى آخر السورة ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ بلفظ الخطاب. لأن ما هنا متصل بما قبله وهو قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ اتصالاً لفظيًا فقط.

وما فى آخرها متصل بما قبله وهو قوله: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا به على رسلك﴾ اتصالاً لفظيًا ومعنويًا؛ لتقدم لفظ الوعد.

١٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا.. ﴿١١﴾﴾.

قال هنا وفى موضع من (الأنفال: ٥٢) ﴿كذبوا﴾ وفى آخر منها ﴿كفروا﴾ «٥٤» تفننًا، جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام.

١٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ.. ﴿١٣﴾﴾.

أى ترى الفئة الكافرة المسلمة بمثلى عدد نفسها، أو بالعكس على الخلاف.

---

١٣٦ ـ البرهان ٥١ .

١٣٧ ـ انظر البرهان ٥٢ والنووى ٦٨ .

إن قلت: هذا ينافى قوله فى الأنفال ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم﴾ إذ قضيته أن كلاً منهما ترى الأخرى قليلة؟

قلت: التقليل والتكثير فى حالين:

قلل الله المشركين فى نظر المؤمنين، وعكسه أولاً، حتى اجترأت كل منهما على قتال الأخرى، ثم كثر الله المؤمنين فى نظر المشركين لما التفتا حتى جبنوا وفشلوا.

وكثر الله المشركين فى نظر المؤمنين وأراهم إياهم على ما هم عليه ـ وكانوا فى الحقيقة أكثر من المؤمنين ـ ليعلموا صدق وعد الله فى قوله ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ فإن المؤمنين غلبوهم فى هذه الغزاة وهى «غزاة بدر» مع انهم كانوا أضعاف عدد المؤمنين.

١٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ .. (١٨)** ﴾.

كرر فيها ﴿لا إله إلا الله﴾ لأن الأول قول الله، والثانى حكاية قول الملائكة وأولى العلم.

أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، والثانى مجرى الحكم بصحة ما شهدته الشهود.

وقال جعفر الصادق: الأول وصف، والثانى تعليم أى قولوا واشهدوا كما شهدت.

١٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿ **.. ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)** ﴾.

إن قلت: التولى والإعراض واحد ـ كما مر فى البقرة ـ فلم جمع بينهما؟

قلت: لأن المعنى يتولون عن الداعى، ويعرضون عما دعاهم إليه وهو كتاب الله. أو يتولون بإيذائهم ويعرضون عن الحق بقلوبهم. أو كأن الذى تولى علماؤهم، والذى أعرض اتباعهم.

١٤١ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

خص الخير بالذكر ـ وإن كان بيده الشر أيضًا ـ لأن الكلام إنما ورد فيه ردًا على المشركين فيما أنكروه ووعد الله به نبيه ﷺ ووعد النبى ﷺ به الصحابة رضى الله عنهم.

أو أراد الخير والشر، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر، كما فى قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر..﴾ «النحل:١٨» وإنما خص الخير بالذكر لأنه هو المرغوب فيه.

١٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ .. ﴿٢٧﴾ ﴾.

أى تدخله فيه بأن يزيد كل منهما ما نقص من الآخر.

١٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

كرره، توكيدًا للوعيد.

والأحسن ـ كما قال التفتازانى ـ ما قيل: أنه ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين، وثانيًا للحث على عمل الخير، والمنع من عمل الشر.

١٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ .. ﴿٣٦﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره مع أنه معلوم؟

قلت: فائدته اعتذارها عما قالته ظنًا، فإنها ظنت ما فى بطنها ذكرًا، فنذرت أن تجعله خادمًا لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النذر فى الذكور خاصة، فلما خاب ظنها استحيت حيث لم يقبل نذرها فقالت ذلك، معتذرة أنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد، فمنّ الله عليها بتخصيص «مريم» بقبولها فى النذر، دون غيرها من الإناث، فقال: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾.

١٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ .. ﴿٣٩﴾ ﴾.

إن قلت: كيف نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلى وأجابها وهو فى الصلاة؟

قلت: المراد بالصلاة هنا الدعاء كقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾.

فإن قلت: لم خص «يحيى» عليه السلام بقوله ﴿مصدقًا بكلمة من الله﴾ مع أن كل واحد من المؤمنين مصدق بجميع كلمات الله تعالى؟

قلت: لأن معناه مصدقًا بـ «عيسى» الذى كان وجوده بكلمة من الله تعالى وهو قوله: كن من غير أب فى الوجود أو المرتبة، وكان تصديق يحيى لعيسى أصدق من تصديق كل أحد به.

١٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ.. ﴿٤٠﴾﴾.

قدم هنا ذكر «الكبير» على ذكر المرأة وعكس فى «مريم:٨» لأن الذكر مقدم على الأنثى فقدم كبره هنا وأخر، ثم لتتوافق الفواصل فى «عتيا، وسويا، وعشيا، وصبيا» وغيرها.

فإن قلت: كيف استبعد زكريا ذلك، ولم يكن شاكًا فى قدرة الله تعالى عليه؟

قلت: إنما قال ذلك تعجبًا من قدرة الله تعالى، لا استبعادًا.

١٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ قال فى حق زكريا «يفعل» وفى حق مريم بعد «يخلق» مع اشتراكهما فى بشارتهما بولد.

لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق، بل نادر بعيد فحسن التعبير بـ«يفعل».

واستبعاد مريم كان لأمر خارق فكان ذكر «الخلق» أنسب.

إن قلت: ما الجمع بين قوله هنا «ثلاثة أيام» وقوله فى مريم «ثلاث ليال»؟

قلت: كل منهما مقيد بالآخر، فلا بد من الجمع بينهما.

---

١٤٧ ـ انظر البرهان ٥٥ .

١٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.. ﴿٤٢﴾﴾.

كرر ﴿اصطفاك﴾ لأن الاصطفاء الأول للعبادة التى هى خدمة «بيت المقدس» وتخصيص مريم بقبولها فى النذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثانى لولادة عيسى.

١٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ.. ﴿٤٧﴾﴾.

قال هنا ﴿ولد﴾ وفى مريم ﴿غلام﴾.

لأن ذكر المسيح تقدم هنا وهو ولدها، وفى مريم تقدم ذكر الغلام.

قوله تعالى: ﴿..وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ..﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: كيف نفى وجود النبى ﷺ فى زمن مريم، مع أنه معلوم عندهم، وترك ما كانوا يتوهمونه من استماعه ذلك الخبر من حفاظه؟

قلت: لأنهم يعلمون أنه ﷺ أمىّ لا يقرأ ولا يكتب وإنما كانوا منكرين للوحى، فنفى الله الوجود الذى هو فى غاية الاستحالة على وجه التهكم بالمنكرين للوحى، مع علمهم أنه لا قراءة له ولا رواية.

١٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ .. ﴿٤٥﴾﴾.

فيه التفات إذ القياس «ابنك».

فإن قلت: كيف قال ﴿ابن مريم﴾ والخطاب معها وهى تعلم أن الولد الذى بشرت به يكون ابنها؟

قلت: لأن الناس ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أن يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه.

١٥١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

إن قلت: أى معجزة لعيسى عليه السلام فى تكليمه الناس كهلاً؟

قلت: معناه تكلمه فى الحالتين بكلام الأنبياء من غير تفاوت بين الطفولة والكهولة، التى يستحكم فيها العقل وتنبأ فيها الأنبياء.

وقال الزجاج: هذا أخرج مخرج البشارة لمريم، ببقاء «عيسى» إلى وقت الكهولة.

١٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴿٤٩﴾ ﴾.

نسبة هذه الأفعال إلى عيسى، لكونه سببًا فيها ومعنى ﴿بإذن الله﴾ بإرادته، وقال هنا ﴿فأنفخ فيه﴾ وفى (المائدة: ١١٠) «فتنفخ فيها» بإعادة الضمير هنا إلى الطير أو الطين وفى المائدة إلى هيئة الطير، تفننًا جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام. وخص ما هنا بتوحيد الضمير مذكرًا، وما فى المائدة بجمعه مؤنثًا.

قيل: لأن ما هنا اخبار من عيسى قبل الفعل فوحده، وما فى المائدة خطاب من الله له فى القيامة وقد سبق من عيسى الفعل مرات فجمعه.

١٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴿٤٩﴾ ﴾.

ذكر هنا مرتين بهذا اللفظ وفى المائدة أربعًا بلفظ ﴿باذنى﴾ لأنه هنا من كلام عيسى، وثم من كلام الله.

١٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

هو كقوله فى مريم ﴿وإن الله ربى وربكم﴾ وقال فى الزخرف ﴿وأن الله هو ربى وربكم﴾ بضمير الفعل الدال على حصر المبتدأ فى الخبر، بمعنى أن الله ربى لا أب كما زعمت النصارى ولم يتقدم ذلك ما يغنى عن الحصر، فحسن ذكر «هو» بخلافه فى الآخرين، فإنه ذكر فى آل عمران عشر آيات من قصة مريم وعيسى، وفى مريم عشرون آية منها، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر «هو».

١٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

قال هنا بـ ﴿أنا﴾ وفى المائدة بـ ﴿اننا﴾ لأن ما فيها أول كلام الحواريين،

---

١٥٢ ـ انظر البرهان ٥٨ والنووى ٧٥ .

١٥٥ ـ البرهان مسألة رقم ٦٠ والنووى ٧٦ .

فجاء على الأصل، وما هنا تكرار له بالمعنى فناسب فيه التخفيف لأن كلاً من التخفيف والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى.

١٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..(٥٥)﴾.

إن قلت: كيف قاله والله رفعه ولم يتوفه؟

قلت: لما هدده اليهود بالقتل، بشره الله بأنه لا يقبض روحه، إلا بالوفاة لا بالقتل والواو تقتضى الترتيب. أو انى متوفى نفسك بالنوم من قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها..﴾ (الزمر:٤٢) ورافعك وأنت نائم لئلا تخاف، بل تستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب.

١٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ..(٥٩)﴾.

إن قلت: كيف قاله وآدم خلق من التراب وعيسى من الهواء وآدم خلق من غير أب وأم، وعيسى خلق من أم؟

قلت: المراد تشبيهه به فى الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضى المماثلة من جميع الوجوه.

١٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ..(٧٥)﴾.

إن قلت: لم خص أهل الكتاب بذلك، مع أن غيرهم منهم الأمين والخائن؟

قلت: إنما خصهم باعتبار واقعة الحال، إذ سبب نزول الآية أن «عبدالله ابن سلام» أودع ألفًا ومائتى أوقية من الذهب، فأدى الأمانة فيها، و«فنحاص ابن عازوراء» أودع دينار فخانه. ولأن خيانة أهل الكتاب المسلمين تكون عن استحلال بدليل آخر الآية، بخلاف خيانة المسلم المسلم.

١٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ..(٨١)﴾ أى: عهدى.

١٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا..﴿٨٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن أكثر الإنس والجن كفرة؟

قلت: المراد بهذا الاستسلام والانقياد لما قدره عليهم من الحياة والموت، والمرض والصحة، والشقاء والسعادة ونحوها.

١٦١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ..﴿٩٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن المرتد وإن ازداد ارتداده مقبول التوبة؟

قلت: الآية نزلت فى قوم ارتدوا ثم أظهروا التوبة بالقول لستر أحوالهم، والكفر فى ضمائرهم.

١٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا..﴿٩٩﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى «الأعراف:٨٦» ﴿من آمن به وتبغونها عوجا..﴾ بزيادة «به» و«الواو» جريًا هناك على الأصل فى ذكر «به» لكونه معمولاً وذكر «واو العطف» إذ مدخولها معطوف على «توعدون» المعطوف عليه «تصدون» وجريًا هنا على موافقة «ومن كفر» فى عدم ذكر «به».

وإنما لم يذكر الواو هنا لأن «تبغونها» وقع حالاً والواو لا تزاد مع الفعل إذا وقع جالاً، كما فى قوله تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾.

١٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..﴿١١٠﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، ولم يقل: أنتم خير أمة؟

قلت: لأن معناه: كنتم فى سابق علم الله، أو فى يوم أخذ الميثاق على الذرية. فاعلم بذلك أن كونهم خير أمة، صفة أصيلة فيهم لا عارضة متجددة، أو معنى ﴿كنتم﴾ وجدتم بجعل «كان» تامة.

١٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم .. ﴿١١٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن غير الإيمان لا خير فيه، حتى يقال أن الإيمان خير منه؟

قلت: ليس «خير» هنا أفعل تفضيل، بل هو خير، أو هو أفعل تفضيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ مع إيمانهم بموسى وعيسى، خير من إيمانهم بموسى وعيسى فقط.

١٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ .. ﴿١١٧﴾ ﴾ أى حر أو برد شديد.

١٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا .. ﴿١٢٠﴾ ﴾.

وصف «الحسنة» بالمس و«السيئة» بالإصابة توسعة فى العبارة وإلا فهما بمعنى واحد فى الأمرين قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ .. ﴾. [التوبة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ .. ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج: ٢٠، ٢١].

١٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ .. ﴿١٢٦﴾ ﴾ هذه تخالف آية «الأنفال: ١٠» فى ثلاثة أمور:

أ ـ لأنه ذكر فى هذه ﴿لكم﴾ لتمام القصة قبلها، وتركها ثم إيجازًا أو اكتفاء بذكره له قبل فى قوله ﴿فاستجاب لكم﴾.

ب ـ وقدم ﴿قلوبكم﴾ على ﴿به﴾ هنا وعكس فى الأنفال ليزاوج بين الخطابين هنا فى ﴿لكم﴾ و﴿قلوبكم﴾.

---

١٦٧ ـ البرهان ٦٤ والنووى ٨٠ .

جـ ـ وذكر هنا وصفى ﴿العزيز﴾ و﴿الحكيم﴾ تابعين بقوله ﴿العزيز الحكيم﴾ وثم ذكرهما فى جملة مستأنفة بقوله ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ لأنه لما خاطبهم هنا، حسن تعجيل بشارتهم بأن ناصرهم عزيز حكيم. ولأن ما هناك قصة «بدر» وهى سابقة على ما هنا فإنها فى قصة «أحد» فأخبر هناك بأنه «عزيز حكيم» وجعل ذلك هنا صفة لأن الخبر قد سبق.

١٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴿١٣٣﴾﴾ أى إلى أسبابها كالتوبة.

إن قلت: كيف قال ذلك وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «العجلة من الشيطان، والتأنى من الرحمن»؟

قلت: استثنى منه ـ بتقدير صحته ـ التوبة وقضاء الدين الحال وتزويج البكر البالغ، ودفن الميت وإكرام الضيف.

١٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ .. ﴿١٣٥﴾﴾ صرح بذكر الفاحشة مع دخولها فى ظلم النفس، لأن المراد بها نوع من أنواع الظلم وهو الزنى، أو كل كبيرة وخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه.

١٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ .. ﴿١٣٥﴾﴾ أى يسترها.

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أنه قال: ﴿.. وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى:٣٧].

وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ..﴾ [الجاثية: ١٤].

قلت: معناه: ومن يغفر الذنوب من جميع الوجوه إلا الله؟ وهذا لا يوجد من غيره.

١٧١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ ذكره بواو العطف هنا، وتركها فى «العنكبوت:٥٨» لوقوع مدلولها هنا بعد خبرين متعاطفين بالواو فناسب عطفه بها ربطًا، بخلاف ما فى العنكبوت إذ لم يقل قبل ذلك إلا خبر واحد. كنظيره فى الأنفال فى قوله: ﴿.. نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

ونظير الأول قوله فى الحج ﴿فنعم المولى﴾ وإن كان العطف فيه بالفاء.

١٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا .. (١٤٠)﴾ معطوف على مقدر، والتقدير وتلك الأيام نداولها بين الناس ليتعظوا وليعلم الله الذين آمنوا.

١٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. (١٦١)﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، وقد قال: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾؟

قلت: معناه يأتى به مكتوبًا فى ديوانه أو يأتى به حاملاً إثمه.

ومعنى «فرادى» منفردين عن أهل ومال وشركاء ينتصرون بهم.

١٧٤ ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾ أى ذوو درجات.

فإن قلت: الضمير فى «هم» يعود على الفريقين وأهل النار لهم دركات لا درجات؟

قلت: الدرجات تستعمل فى الفريقين، قال تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [الأنعام: ٦].

وان افترقتا عند المقابلة فى قولهم: المؤمنون فى درجات والكفار فى دركات.

١٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ .. (١٨١)﴾.

قال ذلك مع أنهم كانوا فى زمن النبى ﷺ وما قتلوا أنبياء قط، لكنهم لما رضوا بقتل أسلافهم أنبياءهم، نسبَ الفعل إليهم.

١٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾.

قاله هنا.. بجمع اليد، لأنه نزلَ فى قوم تقدم ذكرهم، وقاله فى «الحج: ١٠» بتثنيتها لأنه نزل فى «النضر بن الحارث» أو فى «أبى جهل» والواحد ليس له إلا يدان.

١٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

فإن قلت: «ظلام» صيغة مبالغة من الظلم، ولا يلزم من نفيها نفيه مع أنه منفى عنه قال تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾؟

قلت: صيغة المبالغة هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، كما فى قوله تعالى: ﴿محلقين رؤوسكم﴾ إذ التشديد فيه لكثرة الفاعلين، لا لتكرار الفعل.

أو الصيغة هنا للنسبة أى لا ينسبه إليه ظلم فالمعنى ليس بذى ظلم.

١٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ .. ﴿١٨٤﴾ ﴾.

جواب الشرط محذوف، إذا لا يصلح قوله ﴿فقد كذب رسل من قبلك﴾ جوابًا له، لأنه سابق عليه.

والتقدير: فإن كذبوك فتأس بمن كذب من الرسل قبلك، فهو من إقامة السبب مقام المسبب.

١٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. ﴿١٨٥﴾ ﴾ أى أجسادها إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت فى حال موتها، لأن الحياة شرط فى الذوق وسائر الإدراكات وقوله تعالى: ﴿اللّه يتوفى الأنفس حين موتها﴾ معناه حين موت أجسادها.

١٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ .. ﴿١٨٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ﴿ولا تكتمونه﴾ بعد «لتبينه للناس» مع أنه معلوم منه؟

---

١٧٨ ـ البرهان ٦٧ والنووى ٨٣ وتفسير القرطبى ٤/٢٩٦ .

قلت: فائدته التأكيد أو المعنى لتبينه فى الحال، ولا تكتمونه فى المستقبل.

١٨١ ـ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ..﴿١٩٢﴾ ﴾.

إن قلت: هذا يقتضى خزى كل من يدخلها، وقوله ﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه﴾ يقتضى انتفاء الخزى عن المؤمنين فلا يدخلون النار؟

قلت: «اخزى» فى الأول من «الخزى» وهو الإذلال والإهانة وفى الثانى من «الخزاية» وهى النكال والفضيحة وكل من يدخل النار يذل وليس كل من يدخلها ينكل به.

فالمراد بالخزى فى الأول الخلود.. وفى الثانى تحلة القسم أو التطهير بقدر ذنوب الداخل.

١٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ..﴿١٩٣﴾ ﴾.

إن قلت: المسموع النداء لا المنادى؟ قلت: لما قال ﴿مناديا ينادى﴾ صار معناه: نداء مناد كما يقال سمعت زيدًا يقول كذا أى سمعت قوله فمناديًا مفعول سمع. و﴿ينادى﴾ حال دالة على محذوف مضاف للمفعول.

١٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴿١٩٣﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال الثانى مع أنه معلوم من الأول؟ قلت: المعنى مختلف، لأن الغفران مجرد فضل والتكفير محو السيئات بالحسنات.

١٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ..﴿١٩٤﴾ ﴾ أى على ألسنتهم.

فإن قلت: ما فائدة الدعاء مع علمهم أن الله لا يخلف الميعاد؟

قلت: فائدته العبادة لأن الدعاء عبادة مع أن الوعد من الله للمؤمنين عام يجوز أن يراد به الخصوص فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد.

١٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ** ﴿١٩٦﴾﴾ النهى فى اللفظ «للتقلب» وفى الحقيقة «للنبى» والمراد أمته. والقصد بذلك النهى عن الاغترار بالتقلب، ففى ذكر الغرور تنزيل السبب منزلة المسبب، والمنع عن السبب وهو غرور تقلبهم له ـ منع للمسبب وهو الاغترار بتقلبهم. والمراد بتقلبهم: تصرفهم فى التجارات والأموال والانتقال بها فى البلاد متنعمين والفقير إنما يتألم وينكسر قلبه إذا رأى الغنى يتقلب ويتمتع بها، فلذلك ذكر التقلب.

«إنتهت سورة آل عمران»

****